جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

النحو العربيّ والطباق الثقافيّ

الدكتور
علي نجار محمد حسن

العدد السابع عشر
للعام ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م
الجزء الثاني

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٦٩٤٠/ ٢٠١٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

الحمد لله رب العالمين، شرف اللغة العربية؛ فاختارها لغةً لكتابه المعجز ــ القرآن الكريم ــ من بين لغات الدنيا؛ فقال ــ عز من قائل ــ:" إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ "(١) ــ سبحانه وتعالى ــ يرفع ويخفض، جعل بكلمته علم الإعراب مرفوعَ البناء، منصوب اللواء، مجرور ذيل الشرف بجزم القضاء فوق السماء .

وصلِّ اللهم وسلِّم على سيدنا محمد؛ المبعوثِ بمحاسن الأفعال، المنعوت بأحاسن الأسماء، وعلى آله وأصحابه المضمومِ إلى حروف سيوفهم فتحُ الأرجاء، وكسرُ الأعداء ــ صلاةً وسلاما دائمين متلازمين إلى يوم أن تبدل الأرضُ غيرَ الأرضِ والسماء . وبعد ...

فمن ينعم النظر في الدعوات التي دعت إلى تجديد النحو ومحاولات تخفيفه على الدارسين وغيرهم ــ يجدها على قسمين:

الأول ــ دعوات جادة مبنية على رؤًى علمية .

الثاني ــ دعوات ينقصها الرسوخ العلمي، وفيها شططٌ بدرجات متفاوتة .

ومن القسم الأول: إحياء النحو؛ للأستاذ إبراهيم مصطفى، والنحو الجديد؛ للشيخ عبدالمتعال الصعيدى، وتجديد النحو؛ للدكتور شوقي ضيف، وغيرها من الدعوات.

ومن الثاني: دعوات قاسم أمين، وسلامة موسى، ونصرة سعيد، ثم دعوة شريف الشوباشي (لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه) ودعوات أُخَر .

---

(١) سورة يوسف؛ الآية ٢.

وهذا البحث يناقش في هذا الاتجاه ورقة فكرية حديثة، طرحها صاحبها الدكتور عبدالله الغذامي أستاذ النقد والنظرية في قسم اللغة العربية بكلية الآداب ــ جامعة الملك سعود بالرياض ؛ ويتحدث فيها عما سمّاه ((الطباق الثقافي)) بين النحو واللغة العربية في عصرنا الحاضر؛ إذ يقول:" علامة هذا الطباق الثقافي هي فيما نشهده من حالة ازدهار للغة العربية، ويقابل هذا ما نعرفه من شكوى عامة ومن النحويين خاصة؛ وهي شكوى تقول بانحدار اللغة وضياعها بين أهلها"(١).

ويحمّل النحويين المسؤولية بقوله: "إن اللغة بخير ولكن النحويين ليسوا بخير، وأنت عادة إذا رأيت الشعب بخير ولكن ساسته ليسوا بخير فاعلم أن العلة في الساسة " . فالمشكلة عنده في النحويين خاصة .

لذا يهدف البحث إلى مناقشة هذه الدعوة الجديدة، ويبين قيمة النحو العربي الذي لا يُستغنى عنه مهما تعاقبت العصور واختلفت الأحوال؛ لأنه يكسب قيمته من القرآن الكريم، وهو مفتاح فهم القرآن وعلومه .

وقد استنبطتُ عنوانه من كلام الغذامي ؛ فوسمته بـ(النحو العربي والطباق الثقافي) .

وأقمته على المنهج الوصفي التحليلي . وأما خطته فتتمثل في: مقدمة ذكَرْتُ فيها سبب اختيار البحث، والهدف منه، ومنهجه، وخطته ــ ثم ثلاثة مباحث:

المبحث الأول ــ من دعوات تجديد النحو في العصر الحديث.

---

(١) تراجع ورقة الغذامي: " سؤال اللغة: كيف تعمل اللغة؟ سؤال في ثقافة اللغة " وقد تقدم بها إلى مؤتمر (اللغة العربية وآدابها) جامعة السلطان قابوس ــ مسقط ــ من ٢ إلى ٣ / ١٢ / ٢٠١٢ م . والورقة فكرتها متصلة ومتسلسلة، ولا تتجاوز من الصفحات عشرا أو أقل؛ تبعا للخط الذي تكتب به والتنسيق.

المبحث الثاني ــ ورقة الغذامي في الميزان .

المبحث الثالث ــ من أسباب الضعف النحوي وسبل العلاج .

وأخيرا تأتي الخاتمة لتبين النتائج والتوصيات، ثم ثَبَتُ أهم المصادر والمراجع، وفهرس المحتوى .

والله من وراء القصد، وهو يَهدي السبيل .

المبحث الأول
من دعوات تجديد النحو في العصر الحديث.

النحو هو الأداة التي تضبط التراكيب، وتربط بين الإعراب والمعنى والعكس؛ وينبع ذلك من النظر إلى المرسِل والمرسَل إليه؛ ويشمل المرسِلُ المتكلمَ، والكاتبَ، والمنشئَ بوجه عام. وأما المرسَلُ إليه فيشمل المستمع، والقارئ، والمستقبِلَ بوجه عام .

وبيان ذلك أن الإعراب فرع المعنى بالنسبة للمنشئ، والمعنى فرع الإعراب بالنسبة للمستقبِل ؛ فالمعاني بالنسبة للمنشئ منضبطة في ذهنه؛ لأنه منشئها ؛ ومن ثم يستخدم الإعراب لتبيين هذه المعاني ؛ فيرفع لأنه أراد الفاعلية ـــ مثلا ـــ وينصب لأنه أراد المفعولية ... إلخ؛ ومن هنا كان الإعراب فرع المعنى .

وأما المستقبِلُ فإذا كان مستمعا فهو يستمع إلى المتحدث؛ فيميز بين المعاني عن طريق الإعراب الذي يطرحه ذلك المتحدث على أذنيه وعقله، وإذا كان قارئا فهو يقرأ من كلامٍ مسطورٍ أمامه، ويحاول فهم الإعراب أولا ؛ وبِناء عليه يفهم المعنى المقصود ؛ ومن هنا كان المعنى فرع الإعراب .

" فالنحو أساس ضروري لكل دراسة للحياة العربية؛ في الفقه، والتفسير، والأدب، والفلسفة، والتاريخ، وغيرها من العلوم؛ لأنك لا تستطيع أن تدرك المقصود من نص لغوي [من] دون معرفةٍ بالنظام الذي تسير عليه هذه اللغة"(١).

بناء على تلك الحقيقة اللغوية المقررة على مر العصور في الثقافة العربية ـــ كان الاهتمام بالنحو والإعراب؛ فالمثقفون الذين لمسوا هذه الحقيقة ووعوها؛ عرفوا لذلك العلم قيمته وفضله في التفريق بين المعاني ـــ وإن لم يكونوا فيه من

---

(١) التطبيق النحوي؛ للدكتور عبده الراجحي ـــ دار المعرفة الجامعية ـــ الإسكندرية ١٩٩٨ م؛ ص ٦ .

المتخصصين ــ والذين فقدوا الإحساس بهذه الحقيقة حاولوا أن يتجاوزوا علم الإعراب وأن يكتفوا بالإرسال والاستقبال من دونه؛ يقول[1] الشيخ عبدالقاهر الجرجاني ــ رحمه الله ــ:" إن الألفاظ معلقة على مَعانيها حتى يكونَ الإعرابُ هو الذي يَفتحها، وإنَّ الأغراضَ كامنةٌ فيها حتى يكونَ هو المستخرِجَ لها، وإنه المعيارُ الذي لا يتبيَّن نقصانُ كلامٍ ورجحانُه حتى يعرضَ عليه، والمقياسُ الذي لا يُعرفُ صحيحٌ من سَقيمٍ حتى يرجع إليه، لا يُنكِرُ ذلك إلاَّ من يُنكِر حِسَّه، وإلاَّ مَنْ غالطَ في الحقائق نَفْسَه " .

في ظل هذا الاقتناع بالنحو وعدمه من أبناء العربية ــ جاءت الدعوات المختلفة في العصر الحديث إلى تجديد النحو؛ وكان ذلك على ضربين:

الأول ــ ضرب من أبناء هذه اللغة جدّوا السير وحملوا على عاتقهم مسؤولية توصيل الرسالة غير منقوصة إلى الأجيال الآتية بعدهم؛ فنظروا في علم النحو، وحاولوا تطويره وتجديده بإخلاص؛ وصولا إلى الغاية المرجوة من الإبقاء على هذا العلم واستمالة أبناء الأمة إليه، وتيسيره عليهم؛ ومن هذه المحاولات ما يأتي:

المحاولة الأولى: للأستاذ إبراهيم مصطفى[2] الذي ألف كتاب (إحياء النحو) وقال في مقدمته:" هذا بحث من النحو، عكفت عليه سبع سنين ... كان سبيل النحو موحشا شاقا، وكان الإيغال فيه ينقض قواي نقضا، ويَزيدني من الناس بعدا، ومن التقلب في هذه الدنيا حرمانا، ولكن أملا كان يزجيني ويحدو بي في

---

(1) يراجع: دلائل الإعجاز ؛ قرأه وعلق عليه/ محمود محمد شاكر ــ مكتبة الأسرة ــ القاهرة ٢٠٠٠ م؛ ص ٢٨ .

(2) كان مدرسا في كلية الآداب بالجامعة المصرية (جامعة القاهرة الآن). وقد تم تحرير كتاب (إحياء النحو) بأرمان الجيزة مع تمام سنة ١٩٣٦م، وتم طبعه بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة في يناير ١٩٣٧م ــ كما جاء في آخر الكتاب ــ ويفهم من ذلك أنه كانت تلك هي الطبعة الأولى للكتاب .

هذه السبيل الموحشة ؛ أطمع أن أغير منهج البحث النحوي للغة العربية، وأن أرفع عن المتعلمين إصر هذا النحو، وأبدلهم منه أصولا سهلة يسيرة، تقربهم من العربية، وتهديهم إلى حظ من الفقه بأساليبها ... "[1] .

وقد تحدث المؤلف في كتابه بعد المقدمة عن: حدِّ النحو، وأصل الإعراب ومعانيه، والتوابع، ثم وضع تكملة للبحث في مواضع أجاز النحاة فيها وجهين من الإعراب، وأخيرا تحدث عن الصرف؛ وليس المراد هنا علم الصرف ولكن باب الممنوع من الصرف في النحو .

وبالبحث عن مقدار التجديد في هذه المحاولة ـــــ لا يمكن أن يعد من التجديد فيها " إلا محاولته جمع أبواب: المبتدأ، والفاعل، ونائب الفاعل في باب واحد؛ هو باب المسند إليه؛ ليُكْتفَى بهذا في إعراب كل

واحد منها؛ فيقال في إعراب المبتدأ: إنه مسند إليه [وكذلك في إعراب الفاعل ونائب الفاعل] كما يُنْظَر إلى الثلاثة هذه النظرة في علم المعاني من علوم البلاغة؛ لأنه يجمعها فيه اسم المسند إليه.

فهذا رأي له نصيب من التجديد، ولكنه عكَّر عليه بما حاوله من إنكار الفرق بين أحكام هذه الأبواب الثلاثة... والفرق بين أحكام هذه الأبواب بحيث لا يمكن إنكاره... "[2] .

هذا، وقد وضع الشيخ محمد عرفة أحد أساتذة كلية اللغة العربية بالأزهر الشريف ـــ كتابَ (النحو والنحاة: بين الأزهر والجامعة) طبعه سنة ١٩٣٧م، وردّ فيه ما جاء في المحاولة السابقة مسألة مسألة .

---

(1) إحياء النحو ــ طبعة الآفاق العربية١٤٢٣هـ ــ ٢٠٠٣ م،ص(ج)من المقدمة.

(2) النحو الجديد؛ للشيخ عبد المتعال الصعيدي ــ الناشر: دار الفكر العربي ــ من دون طبعة أو تاريخ؛ ص ٧٩.

المحاولة الثانية: تيسير قواعد تدريس اللغة العربية :

كانت هذه المحاولة عن طريق وزارة المعارف المصرية (وزارة التعليم) إذ كلَّفَتْ لجنة من الأساتذة[١] المتخصصين في اللغة والأدب آنذاك؛ كلفتهم بوضع رؤية لتيسير قواعد تدريس اللغة العربية؛ فأنجزت اللجنة ما كُلِّفَتْ بـه، وكتبت تقريرا[٢] قدمته إلى الوزارة، ومن بين هذا التقرير ثماني صفحات تشتمل على اقتراحاتها في تيسير قواعد تدريس اللغة العربية؛ وهي تنقسم إلى قسمين؛ الأول يتعلق بالنحو والصرف، والثاني يتعلق بعلوم البلاغة. والحق أن هذه الاقتراحات على علم واضعيها وتمكنهم ـــ لم تسلم من النقد والرد "فقد كان لها أثر كبير في إثارة الناس عليها؛ وكان من أشدهم غضبا عليها بعض علماء الأزهر؛ فقد عدَّ هذه المحاولة إفسادا للغة العربية، بل عدها خروجا على الدين"[٣] .

كما ظهر نقد آخر لهذه المحاولة؛ قامت به لجنة[٤] أُلِّفَتْ بمدرسة دار العلوم (كلية دار العلوم) وقد نظرت هذه اللجنة في هذه المحاولة، ووضعت تقريرا[٥] في الرد عليها مسألة مسألة ؛ وفي النهاية توصلت اللجنة إلى أن تلك المحاولة لم يأت بجديد يُعتبَر .

---

(١) هم: د. طه حسين ــ عميد كلية الآداب بالجامعة المصرية آنذاك ــ والأساتذة: أحمد أمين، وإبراهيم مصطفى المدرسان في كلية الآداب، وعلي الجارم بك ــ المفتش الأول للغة العربية ــ ومحمد أبوبكر إبراهيم ــ المفتش بوزارة المعارف ــ وعبد المجيد الشافعي ــ المدرس بدار العلوم .

(٢) نشرت جريدة المصري آنذاك ذلك التقرير في يومي ٢٦ ، ٢٧ من شهر ربيع الآخر ١٣٥٧ هـ ــ ٢٦ من يونيه ١٩٣٨ م .

(٣) النحو الجديد ؛ ص ٩٦ .

(٤) أعضاؤها هم الأساتذة: محمود عبد اللطيف، وأحمد صفوت، ومحمود أحمد ناصف، والسباعي السباعي بيومي، ومحمد عبدالجواد، وأحمد يوسف نجاتي.

(٥) نشر بجريدة الأهرام في يوم ١١ من جمادى الأولى ١٣٥٧ هـ ــ ٩ من يولية ١٩٣٨ م .

المحاولة الثالثة: تيسير قواعد الإعراب:

هذه المحاولة انفرد بها شيخ أزهري[1]؛ وقد نظر في التقرير الذي وضعته لجنة وزارة المعارف وحاول نقده نقدا بَنّاء؛ يقول:" وقد رأيت أن أسلك في نقدها طريقا يوافق ما جُبِلت عليه من ميل إلى التجديد؛ فلا يحملني عليه حب المحافظة على القديم كما حمل بعض علماء الأزهر، وكما حمل لجنة دار العلوم ، بل يحملني عليه بيان حظه من تجديد النحو، وبيان مقدار إصابته لذلك الغرض ، وقد وصلت بهذا إلى اقتراحات أخرى لتيسير قواعد الإعراب؛ فيها تجديد سائغ لقواعد النحو ، يقوم على أصول قوية ... "[2].

هذا، وقد وضع الشيخ عبد المتعال ترتيبا[3] للنحو الجديد حسبما رآه؛ فبدأ بأقسام الكلمة المعروفة، ثم قسم الفعل إضافة إلى الماضي والمضارع والأمر ــ إلى فعل قياسي وآخر سماعي؛ وهو الذي لا يجري على قياس الفعل في إعرابه ؛ والشيخ يقصد هنا أسماء الأفعال؛ مثل: هيهات، وأوّه ، ومهْ .

ثم ذكر الإعراب وأقسامه، وقسمه إلى ظاهر ومقدر، وجعل من المقدر المبني؛ مثل: سيبويه والضمائر ، ثم ذكر علامات الإعراب الأصلية والفرعية ومواضعها في الكلام، ثم تحدث عن تقسيم الجملة إلى اسمية وفعلية، ثم ذكر الحروف وجعلها معربة؛ فمنها ما هو مرفوع دائما؛ مثل: (منذُ) ومنها ما هو منصوب دائما؛ مثل: (رُبَّ ــ إنَّ ــ أنَّ ــ لعلَّ ــ ليتَ ــ كأنَّ ــ سوفَ) ومنها ما هو مجرور دائما؛ مثل: (جَيْرِ) ومنها ما هو مجزوم دائما؛ مثل: (إنْ ــ عنْ ــ منْ ــ

---

(1) هو الشيخ عبد المتعال الصعيدي؛ وقد كان ــ رحمه الله ــ مدرسا في كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر الشريف، وقد نشر محاولته هذه على صفحات مجلة (الرسالة) سنة ١٣٥٧ هـ ــ ١٩٣٨ م ؛ في الأعداد: ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧٤ .

(2) ينظر ذلك مفصلا في كتاب: النحو الجديد؛ ص ١١٢ ــ ١٩٩ .

(3) ينظر: السابق؛ ص ٢٣٨ ــ ٢٦٥ .

في ــ إلى ــ أجلْ ــ نعمْ)، ثم تحدث عن إعراب الأفعال، وجعلها كلها معربة؛ فالماضي يرفع وينصب ويجزم، والأمر يجزم مع اختلاف العلامات، ثم ذكر المبتدأ والخبر، وعرفهما تعريفا جديدا يشمل اسمي (كان) و(إن) وخبريهما ــ كما قدمت ــ ثم تحدث عن إعراب الفاعل والمنصوبات المختلفة من الأسماء، وقد وسم نائب الفاعل بأنه مفعول به مرفوع، ولم يذكر مصطلح (نائب الفاعل)، ثم تحدث عن إعراب المنادى، وجعله منصوبا بالضمة [هكذا] وما ينوب إذا كان علما؛ مثل: يا محمدُ، أو نكرة مقصودة؛ مثل: يا رجلُ ــ تريد رجلا معينا ــ ثم تحدث عن المضاف إليه والمجرور بالحرف، ثم التوابع، وأخيرا النكرة والمعرفة .

والحق أن ما رآه الشيخ الجليل من تجديد للنحو في مقالاته الستة التي نشرها في مجلة الرسالة ــ لم يسلم من الرد عليه كغيره من المحاولات، وقد ذكر هو تلك الردود ورده عليها في كتابه النحو الجديد[1] .

المحاولة الرابعة:

تجديد النحو:هذا عنوان كتاب للدكتور/شوقي ضيف ــ رحمه الله ــ وهو صاحب هذه المحاولة،وقد وضع ــ كما يرى ــ أسسا لتذليل النحو وصعوباته؛منها[2]:

١ ــ إعادة تنسيق أبواب النحو بحيث يُستغنَى عن طائفة منها برد أمثلتها إلى الأبواب الباقية؛ حتى لا يتشتت فكر دارس النحو في كثرة من الأبواب توهن قواه العقلية .

٢ ــ إلغاء الإعراب التقديري في المفردات مقصورة ومنقوصة ومضافة إلى ياء المتكلم ومبنية، ورأى في كتابه (تجديد النحو) أن يقال فيها: محل الكلمة الرفع أو النصب أو الجر ، وأيضا رأى إلغاء الإعراب المحلي .

---

(1) ص ١٤٤ ـــ ١٤٨ ، وص ١٦١ ، ١٦٢ .

(2) تجديد النحو؛ للدكتور/ شوقي ضيف ــ دار المعارف؛ الطبعة الرابعة؛ ص٣ــ٨ .

٣ ــ ألا تُعرَب كلمة لا يفيد إعرابها أية فائدة في صحة نطقها؛ ويتضح ذلك في إعراب النحاة كلمة (أنْ) المخففة ــ في رأيهم ــ من (أنَّ) الثقيلة، وغيرها مما ذكر . و قد قوبلت هذه المحاولة كغيرها بالنقد والرد[١].

وهكذا لم تخلُ محاولة من المحاولات الجادة السابقة، والتي يتسم أصحابها بالعلم الغزير ـــ من رد ونقد.

ويجدر في هذا المقام أن أذكر جهود رجل لا يمكن إنكارها في عالم النحو؛ ألا وهو الأستاذ/ عباس حسن ـــ رحمه الله ـــ في كتابه الماتع (النحو الوافي) " فقد خدم النحو العربي خدمة جليلة ... وقد استفاد من الموروث النحوي وتعدد الآراء خير استفادة؛ فكان بحق أفضل من وظف الخلاف النحوي للتيسير بعدما كان تعدد الآراء يُعَد من أبرز الشوائب التي أساءت للنحو ، وجعلته عسيرا ينفر منه الدارسون " [٢].

الضرب الثاني من دعوات تجديد النحو :

لم تتوقف الدعوة إلى تجديد النحو عند المحاولات السابقة، ولكن كانت هناك دعوات أخر في عصرنا الحديث ، توصف ــ في كثير من اقتراحاتها ــ بالشطط وانعدام الرسوخ العلمي اللغوي في أصحابها؛ مثل دعوات قاسم أمين ، وسلامة موسى[٣]، وأنيس فريحة الذي عدَّ الإعراب زخرفا من بقايا العقلية القديمة في

---

(١) ينظر: النحو الجديد ؛ ص ٢٣٢ ــ ٢٣٥ .

(٢) أثر الموروث النحوي في مقترحات محاولات التيسير النحوي المعاصر؛ للدكتور حسن منديل العكيلي ــ عالم الكتب الحديث ــ إربد، الأردن ــ الطبعة الأولى ٢٠١٢ م ؛ ص ١٣١ .

(٣) ينظر مقاله: اللغة الفصحى واللغة العامية ــ مجلة الهلال سنة ١٩٢٦ م ؛ ص١٠٧٣ ــ ١٠٧٧ .

اللغة[١]، ونصرة سعيد [٢]، وحسن الشريف [٣]؛ ومن أبرز ما دُعي إليه في تلك المحاولات هو :

١ ــ إلغاء الإعراب بتسكين أواخر الكلمات .

٢ ــ إيثار كل لهجة عامية توافق العربية؛ كإيثار اللهجة التي تلزم الأسماء الستة بالألف، وإيثار اللهجة التي تلزم المثنى بالألف في جميع حالاته؛ لأن العامية تنهج في أسلوبها هذا المنهج ...

٣ ــ حذف بعض قواعد النحو أو تعديلها على غير الطريق الذي نهجته منذ مئات السنين ؛ كحذف موانع الصرف، وجعل العدد من جنس المعدود، وإبقاء المفعول به منصوبا في حالة بناء الفعل لما لم يُسَمَّ فاعله، وإلزام المنادى والمستثنى حالة واحدة من الحالات؛ فيكون منصوبا دائما أو مرفوعا دائما.

وقد ذكرت الدكتورة/ نفوسة زكريا ــ رحمها الله ــ هذه الدعوات والرد عليها في كتابها الماتع (تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر)[٤]؛ مما يغني عن تفصيلها هنا، ولكنني أود الوقوف مع دعوة حديثة عاصرناها ولم تدركها الدكتورة نفوسة ــ رحمها الله ــ ألا وهي: لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه .

---

(١) ينظر كتابه: نحو عربية ميسرة ــ طبعة بيروت ١٩٥٥ م ؛ ص ١٨٤ .

(٢) ينظر مقالها: تطوير اللغة العربية ــ مجلة الآداب البيروتية ــ السنة الرابعة ـــ عدد ديسمبر ١٩٥٦م .

(٣) ينظر مقاله: تبسيط قواعد اللغة العربية ــ مجلة الهلال ؛ عدد أغسطس١٩٣٨م؛ ص ١١٠٨ ــ ١١١٩ .

(٤) ينظر: تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر ؛ للدكتورة/ نفوسة سعيد زكريا ــ دار الدعوة الإسلامية ١٤٢٧ هـ ــ ٢٠٠٦ م؛ ص ١٩٧ ــ ٢٠٧ . وقد أوصى الشيخ / محمود شاكر ــ رحمه الله ــ باقتناء الكتاب ــ كما جاء في أوله ــ.

هذه الدعوة للأستاذ / شريف الشوباشي ، الذي أصدر كتابا تحت العنوان السابق سنة ٢٠٠٤ م[١] ؛ ومما جاء فيها:

١ ــ التمسك باللغة وقواعدها التي لم تعد تواكب العصر ـــ أحد أسباب تخلف العالم العربي عن ركب الحضارة العالمي [٢] .

٢ ــ طالب المؤلف بإعادة النظر في القواعد الأساسية للغتنا؛ لتصبح أداة فعالة لتفجير طاقات العقل العربي المحتبسة في هيكل اللغة المقدس ، وهو على ثقة بأنه يترجم المشاعر الدفينة في نفوس ملايين العرب وهو يهتف قائلا:" يسقط سيبويه"[٣] .

٣ ــ يتساءل: لماذا لا نجعل العدد موحدا مع المذكر والمؤنث ؛ فنقول: تسع رجال وتسع نسوة ؟![٤].

٤ ــ رأى المؤلف أن من صور التعقيد في العربية نحو قولنا: أنا قاتلٌ ابنَك، وأنا قاتلُ ابنِك ؛ لأن الجملتين تكتبان بطريقة واحدة ولا يفرق بينهما إلا التشكيل، ومعناهما مختلف[٥] .

٥ ــ من مشاكل اللغة عنده المفعول به ؛بسبب أنه لا يعرف من موقعه في الجملة، وإنما من إعرابه وتشكيله، ودعا إلى أن نقول: رأيت رجل طويل يأكل خبز ؛ بدلا من قولنا: رأيت رجلا طويلا يأكل خبزا[٦].

---

(١) طبعَتْه الهيئة المصرية العامة للكتاب. وصاحب الكتاب كان حينها وكيلا لوزارة الثقافة المصرية .

(٢) تحيا اللغة العربية؛ يسقط سيبويه؛ص ١٣ ، ١٥، ٥٢ وقد عجَّ الكتاب بتَكرار هذه الفكرة في غير موضع منه.

(٣) لتحيا اللغة العربية؛ يسقط سيبويه ؛ ص ١٧.

(٤) السابق ؛ ص ١٧٠.

(٥) لتحيا اللغة العربية ؛ يسقط سيبويه ؛ ص ١٧٢.

(٦) السابق ؛ ص ١٧٢.

٦ ــ يرى أن المثنى من أكبر مظاهر عناد اللغة العربية مع التطور ؛ فكل اللغات الأخرى تقوم على المفرد والجمع .

٧ ــ أيضا جمع المؤنث يسبب مشكلة للمؤلف ، ويرى في هذا تفرقة لغوية بين الرجل والمرأة؛ فلماذا تعزل اللغة الرجال عن النساء ؟! ألسن بشرا مثلهن مثل الرجال ؟! لا سيما أن بقية اللغات في العالم تستخدم جمعا واحدا يعبر عن المذكر والمؤنث ، وهو محايد لا يخص جنسا مكان آخر [١].

٨ ــ المؤنث ــ عند الكاتب ــ من أعقد التركيبات التي لا لزوم لها لفهم المعنى؛ فلو قلنا:" النساء كلهن أكلن ، أو: النساء كلهم أكلوا " فإن المعنى واضح في الحالتين ، ولن ينصور أحد في الحالة الثانية أن النساء تحولن بقدرة قادر إلى رجال[٢] ؛ ويفهم من كلامه هذا الاستغناء عن نون النسوة في العربية ، كما رأى الاستغناء عن المثنى .

وحين صدر الكتاب عُقِدَتْ مجموعة من المؤتمرات حول موضوعه في الكليات والمعاهد المتخصصة في اللغة العربية في أقطار العالم العربي ، وأُلِّفتْ ضد فكره الشارد المشوش مجموعة من الأبحاث والكتب؛ منها: دموع الشوباشي بين يدي سيبويه؛ للدكتور/ محمد محمد داوود، والمتنبي لا يخاف الإعراب[٣]؛ للدكتور/ حلمي القاعود .

والباحث هنا يرد على هذه الدعوة السطحية التي تدل على عدم[٤] تمكن صاحبها من علوم اللغة؛ فأقول:" إن التخلف في بلادنا له أسبابه المعروفة التي

---

(١) السابق ؛ ص ١٧٣ .

(٢) السابق ؛ ص ١٧٥.

(٣) بحث منشور في مجلة (مرافئ) السنة السابعة ـــ العدد السابع؛ نادي جازان الأدبي ١٤٢٦ هـ ــ ٢٠٠٥ م؛ ص ١٤٤ ـــ ١٦٥ .

(٤) عبر الكاتب عن ضعفه اللغوي من حيث لا يدري حين قال في الكتاب ص١٩٢، ١٩٣ :" وأكاد أسمع من يتساءل عن مدى تخصصي في اللغة

يعرفها كل من له أدنى علاقة بالفكر والثقافة؛ وتتمثل في غياب الحرية والعدل والمساواة والكرامة وتقدير العلم والعلماء؛ إن العبيد والمظلومين والمقهورين والمهمشين والذين لا يجدون فرصة للمشاركة في تقرير مصيرهم ومصير أوطانهم، ويرون أن الراقصة والمطربة, ولاعب الكرة أكبر أهمية وأكبر مكانة من العلم والعلماء والبحث العلمي ــ هؤلاء لا يستطيعون أن يتقدموا أو يبدعوا أو يخترقوا حجب التخلف والضياع والهزيمة "[1] ثم أتوجه إلى الكاتب بسؤال: لو أننا أخذنا باقتراحاتك؛ فماذا نقول لدارسي اللغة العربية وحافظي القرآن حين يسألوننا عن هذه النماذج من الشواهد القرآنية ؟ :

١ ــ قوله ــ تعالى ــ:" وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ "[2] جاء العدد بالتاء مع المعدود المذكر (أشهر) .

٢ ــ قوله ــ تعالى ــ:" وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا"[3]، وقوله ــ سبحانه ــ:" إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى"[4] جاء الوصف الذي على وزن (فاعل) منونا في الآية الأولى، ومضافا في الثانية .

٣ ــ قوله ــ عز وجل ــ: "أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ"[5]؛ فقد جاء المفعول (رَجُلًا) منونا .

العربية، وهي الحجة التي يُواجَه بها كل من يحاول الخروج عن الطريق المرصوفة والممهدة والتي أجمعت الأجيال الماضية عليها لكنها مع هذا لم تعد صالحة لجيلنا الحالي والأجيال القادمة؛ إذ إن اللغة كما يقول عميد الأدب العربي: ملك لكل من يستخدمها " .

(1) يراجع بحث: المتنبي لا يخاف الإعراب ـــ مجلة مرافئ، العدد السابع؛ ص١٥١ .

(2) سورة الطلاق: من الآية ٤ .

(3) سورة الكهف: من الآية ٢٣ .

(4) سورة الأنعام: من الآية ٩٥ .

(5) سورة غافر: من الآية ٢٨ .

٤ ــ قوله ــ جل وعلا ــ:" قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ ... "[١] ، و" فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ "[٢]، و" وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ "[٣] فقد جاء المثنى مرفوعا ومنصوبا ومجرورا .

٥ ــ ٦ ــ قوله ــ سبحانه ــ:" وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ ... "[٤] فهنا جمع مؤنث ونون نسوة .

هل نقول للسائلين عن هذه الآيات وغيرها مما تحمل قواعد النحو التي يريد الشوباشي تغييرها والقضاء عليها: إنها مثل " الم ـــ حم " من المتشابه، والله أعلم بمراده أو ماذا نقول ؟!

حين يجيبنا الأستاذ الشوباشي أو غيره عن هذا السؤال إجابة شافية كافية ؛ ساعتها ننحني له ونقبل اقتراحاته بل نساعده على نشرها وتعليمها الناس، ولكن لا أظن أن هناك إجابة منه أو من غيره .

---

(١) سورة المائدة: من الآية ٢٣ .
(٢) سورة البقرة: من الآية ٢٨٢ .
(٣) سورة النور: من الآية ٤٥.
(٤) سورة البقرة: من الآية ٢٣٣.

المبحث الثاني
ورقة الغذامي في الميزان

قسم الغذامي ورقته إلى مقدمة، وثلاث فقرات، وخاتمة ؛ أما فقرات الورقة الثلاث فهي تحت العناوين الآتية:

الأول: الحالة الثقافية (الطباق الثقافي) .

الثاني: بكلام ليس من كلامنا .

الثالث: حالة النحو (خارج السياق) .

والحق أن الورقة كلها من مقدمتها إلى خاتمتها ـــ تدور حول فكرة واحدة أستطيع تلخيصها في قوله تحت عنوان الفقرة الثالثة:" هناك شعور عام يرى أن النحو ليس ضروريا لإيصال المعنى، وهذا حس غير معلن صراحة ولكن الشواهد تدل عليه وتكشفه؛ فالأطباء وأساتذة الجامعات، وكذلك ضيوف برامج الفضائيات ومعهم خطباء المنصات، بمن فيهم الزعماء والبرلمانيون، بل سنجد كتابا مبدعين في الرواية تحديدا ومعهم كتاب المقالات وكثير من الوعاظ وخطباء الجوامع، وسنزيد عليهم عينة نشاهدها في قاعات الدرس الجامعي من أساتذة في تخصصات اللغة العربية ذاتها في مجالات الأدب والنقد والبلاغة ونرى عليهم نقصا بينا في معرفة النحو وتمثله، ولقد سمعت من بعض منهم قوله: إن النحو ليس ضمن اهتماماته، ويقاس عليه ما نشهده من تفشي اللحن في نشرات الأخبار المرئية والمسموعة، كما على منصات المؤتمرات حيث صار النحو أمرا خارج سياق هذه المظاهر كلها.

والملحوظ مع كل هؤلاء أنهم عينات واقعية تمارس اللغة العربية الفصحى إنشاء وإلقاء مع مهارة أسلوبية وتعبيرية، ويشعرون أن كلامهم يصل للناس مفهوما ومتماسكا في نصه وفي دلالاته، دون أن يأخذوا بشرط النحو، وتعم

الأخطاء النحوية في قولهم كله، ومع هذا تظل لغتهم مفهومة وتبلغ حدها في الإفهام والتوصيل وكذا في مستواها البلاغي وجماليات التعبير. حتى ليمر اللحن دون إحساس به لا من مقترفه ولا من سامعه ".

وبما أن فكرة الورقة واحدة فإنني سأختار أبرز ما ورد في فقراتها وأهمه ؛ لأناقشه مناقشة علمية هادفة؛ لذا أقول ابتداء: من مناقشتي لكثير من المتخصصين بشأن اللغة والنحو والأدب حول هذه الورقة ـــ وجدتهم فريقين ؛ أحدهما يرى أن الباحث لا يرمي إلى شيء سوى أنه ألقى حجرا في بحر النحويين الراكد، ويريد منهم أن يبحثوا عن حلول جديدة وأساليب حديثة للدرس النحوي؛ حتى يقتنع الناس به .

والفريق الآخر يرى الغذامي متهجما على النحو وأهله بلا سبب ولا حجة .

وأدعو الله ــ عز وجل ــ أن يهديني إلى سواء السبيل في مناقشتي أهم ما ورد في هذه الورقة:

أولا ــ يرى الغذامي تحت عنوان (الحالة الثقافية) أن " علامة هذا الطباق الثقافي هي فيما نشهده من حالة ازدهار للغة العربية ... ويقابل هذا ما نعرفه من شكوى عامة ومن النحويين خاصة، وهي شكوى تقول بانحدار اللغة وضياعها بين أهلها.

أي أننا أمام ازدهار وانحدار في مشهد واحد، أحدهما مشهد واقعي والآخر معرفي، وهذا هو الطباق الثقافي"٠

من الجليِّ أن الدكتور/ الغذامي وقع من البداية في خلط بيِّنٍ ظاهر بين اللغة أداةً للتواصل بين الناطقين بها وبين قواعدها وقوانينها،والفارق كبير؛ لأن اللغة بوجه عام كما عرّفها ابن جني ــ رحمه الله ــ هي " أصوات يعبر بها كل قوم

عن أغراضهم "[1] ولم يذكر ابن جني في هذا التعريف القواعد والقوانين الخاصة باللغة؛ فالفهم والإفهام لا يقوم على النحو فقط، فالكل يتكلم حتى من لا يُجيد اللغة الفصحى وكلامهم مفهوم، بل هو أفضل من كلام المثقفين أحيانا، بل إن هناك شريحة من بني البشر يتواصلون ويتفاهمون فيما بينهم من دون أصوات أصلا ؛ وهم الصم والبكم؛ فلغتهم الإشارة .

ثانيا ــ يستشهد الغذامي على ازدهار اللغة العربية في عصرنا الحاضر بموقع التواصل الاجتماعي (تويتر)؛ يقول تحت عنوان (الحالة الثقافية):" وفي تويتر سوف ترى كتائب من الكتبة فتيات وفتيانا، وكلهم يدخلون في لعبة صناعة الإنشاء بجهد منهم وبأستاذية ذاتية، حيث ترى المغرد والمغردة يكتبان بقلم حر وبفكر مفتوح وبصيغ فردية وبكفاءة ذاتية، وكل هذا هو صناعة حديثة في الإنشاء وفي التفاعل اللغوي الحي والمباشر والسريع " .

والحق أن (تويتر) وغيره من مواقع التواصل الاجتماعي مثل (الفيس بوك) فيه كل ما ذكره الباحث، ولكن المتابع لـــ (تويتر) يرى أنه يعكس ثقافة الكتبة؛ فاللغوي الرصين يكتب بلغته الرصينة محافظا على القواعد والنحو، ومتوسط الثقافة يكتب تبعا لثقافته المتوسطة، والعامي كذلك؛ إذن (تويتر) لم يغير من واقعنا اللغوي شيئا فضلا عن النحوي ؛ كل ما في الأمر أنه نافذة جديدة يستطيع الناس من خلالها التواصل السريع والمفتوح ، وإلا فإن الكاتب كان يكتب في جريدة أو حتى في وريقات يضعها في مكتبه بعد أن يفرّغ الشحنة التي كانت بداخله من خلال ما كتب ، ولا فارق هنا بين أدوات الكتابة ووسائلها ، وإنما الفارق في ثقافة الكاتب الأساسية .

([1]) ينظر: الخصائص؛ لأبي الفتح عثمان بن جني ـــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـــ الطبعة الرابعة؛ ١/ ٣٤ .

ومن المعلوم أن التغريدة على (تويتر) لا تتجاوز مائة وأربعين حرفا ، وهنا الاحتياج إلى النحو وقواعده يكون كبيرا ؛ لأنه يساعد الكاتب على هذا الاقتصاد اللغوي المُلزِم من قبل (تويتر)؛ فإذا أراد شخص ــ مثلا ــ أن يكتب عن صديقين قديمين له اسمهما (محمد) ويقول:" كان لي صديقان؛ اسمهما محمد، وذات مرة دخلا عليَّ يبكيان؛ لوفاة والد أحدهما؛ فعزيتهما، وقلت: يا محمدان،" إنّا لله وإنا إليه راجعون " وتذكرت أبويَّ ، فدعوت لهما بالرحمة والمغفرة " إذا أراد شخص ذلك ولم يكن عنده شيء من النحو فإنه سيقع في (حيص بيص) كي يخبر عن صديقيه، ويكتب عنهما ما يمكن أن نسميه بالقصة القصير جدا ؛ فيقول: " كان لي صديقين، اسم كل واحد منهم (محمد) وذات مرة دخلوا عليّ وهم يبكون؛ لأن والد واحد منهم توفَّى؛ فعزيتهم، وقلت لهم: يا محمدين، " إنا لله وإنا إليه راجعون " وتذكرت أبي وأمي؛ فدعوت لهم بالرحمة والمغفرة ... " .

انظر الفارق في عدد الحروف والجمل بسبب الالتزام النحوي بالمثنى وعدم التزامه؛ فالفقرة الأولى تتناسب مع (تويتر) في تغريدة واحدة، والثانية تحتاج إلى تغريدتين؛ لأن حروفها تتجاوز الحد الموضوع من (تويتر) ثم انظر إلى التعبير عن الاثنين بضمير الجمع وما يصنعه هذا من ثقل على الأذن وضياع الحديث عن شخصين فقط، ثم تأمل في قوله:" وقلت لهم: يا محمدين " فكأنه يكلم شخصا واحدا لا اثنين ...

ثالثا ــ ذكر الباحث تحت عنوان الفقرة الثانية (بكلام ليس من كلامنا) أن أبا حيان التوحيدي نقل حكاية وقعت في مجلس الأخفش عن أعرابي حضر درسا في المسجد " فسمع كلام أهله في النحو وما يدخل فيه، فحار وعجب وأطرق ووسوس؛ فقال له الأخفش: ما تسمع يا أخا العرب...؟ فقال: أراكم تتكلمون بكلامنا في كلامنا بما ليس من كلامنا) [1] .

([1]) الإمتاع والمؤانسة؛ لأبي حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (المتوفى: نحو ٤٠٠هـ) ــ المكتبة العنصرية، بيروت ــ الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ؛ ص٢٥٣ .

ثم يعلق الغذامي قائلا:" هذه حكاية تحمل مفارقتها الثقافية التي لما تزل حية، وتنتج مفعوليتها الدلالية وهي هذه الهوة العميقة ما بين اللغة والنحو، وإن كانت حدثت لأعرابي في مجلس الأخفش، زمن صناعة النحو والتأسيس له فإنها ظلت تصاحب سيرة النحو في المتصور الثقافي كله، بل لقد زادت اتساعا مع ازدياد الشرائح المثقفة جماهيريا، ولعل الدراما المصرية قد ورثت ظَرْفَ الأعرابي نفسه حينما قدمت صورة معلم النحو بصورة الكائن الغرائبي شكلا ولسانا وهيئة درامية، حتى صارت عبارة (يحكي نحوي) بمثابة التمثيل التعجيبي".

والذي أُراه هنا أن موقف الأعرابي مع الأخفش ــ رحمه الله ــ هو في صالح النحويين وليس ضدهم،وهو شاهد على الغذامي وليس له؛ إذ إن كلام الأعرابي لم يجعل الأخفش يستحيي منه ويرثي لحاله؛ ويقول: أيها الناس إن من بيننا من لا يفهم ذلكم العلم؛ وعليه يجب أن نعده علما خارج السياق ــ كما يقول الغذامي ــ ونبحث عن شيء آخر نشتغل به ــ كلا ــ فالواقع والتاريخ يقولان: إن الأخفش ومن بعده من النحويين لم يكفوا عن التأليف في النحو، وتبليغ الناس حتى اللحظات التي يُكتب فيها هذا البحث الذي بين أيدينا؛ وهو ما يصور أهمية ذلك العلم كنسق لغوي عام حتى وإن كانت بعض الفئات لا تفهمه، أو لا يهمها التعامل به ، ولو أننا سلمنا لمنطق الأعرابي الذي يطرحه الدكتور/ الغذامي اليوم لفقدنا كل العلوم؛ لأنه ما من علم إلا وتجهله فئات كثر من الناس.

ولنتصور ــ مثلا ــ أن النحويين على مدى التاريخ اللغوي الطويل لم يعملوا ولم ينهضوا بالرسالة التي استشعروها في قوله ــ تعالى ــ:" إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ"(١)، وفي قوله ــ عز وجل ــ:" إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا

(١) سورة يوسف : الآية ٢ .

لَعَلَّكُمْ تعقلونَ "[1] لنتصور أنهم ركنوا إلى الراحة، ولم يؤلِّفوا ولم يعلِّموا ولم يتواصلوا مع الناس ــ فكيف كان يُتصوَّر حال اللغة الآن ؟!

إن أحدنا ربما لا يستشعر الهم الكبير الذي عاشه ويعيشه من يشعرون بالمسؤولية أمام الله ــ تعالى ــ عن هذه اللغة على مر التاريخ ؛ ليقينهم أنهم واقفون على ثغر خطير من ثغور الإسلام ؛ فلو ضاعت اللغة العربية بنحوها؛ لأصبح القرآن " لوغاريتماتٍ " معقدةً غيرَ مفهومة ، ولصار كتابا للترانيم والصلاة كالإنجيل ، وأنا لا أنسى أبدا هذا المشهد السنوي الذي تنقله قنوات التليفزيون المصرية للنصارى في مصر وهم يحتفلون بعيدهم في أكبر كنائسهم، وتقف مجموعة من المنشدين والمترنمين على منصة عالية يترنمون بآيات الإنجيل ــ كما يزعمون ــ وتحت المنصة عدد كبير من أبناء النصرانية ومعهم من يجاملهم من المسلمين وهم لا يفهمون شيئا مما يقال على المنصة، ولكنهم يطربون فقط لأصوات الترانيم .

ولنعد لنتدبر قوله ــ تعالى ــ في ختام الآيتين السابقتين " لعلكم تعقلون " فعقل القرآن وفهمه والاستنباط منه مبني على لغته، ولغته العربية، والعربية أبوها النحو .

إن كتابنا القرآن الكريم أشبه ما يكون بالحجر الأسعد وكل العلوم تطوف حوله، وفي مقدمتها النحو العربي الذي يخدم تلك العلوم جميعا من عقيدة، وفقه، وتفسير، وحديث، وبقية علوم اللغة، وفلسفة، وتاريخ وغيرها من العلوم ... وقد ورد في ترجمة أبي العباس ثعلب النحوي (ت ٢٩١ هـ) أنه قال لأبي بكر بن مجاهد عالم القراءات (ت٣٢٤ هـ " يا أبا بكر، اشتغل أصحاب القرآن بالقرآن ففازوا، واشتغل أهل الفقه بالفقه ففازوا، واشتغل أصحاب الحديث بالحديث

([1]) سورة الزخرف : الآية٣.

ففازوا، واشتغلت أنا بزيد وعمرو، فليت شعرى ماذا يكون حالى فى الآخرة! [يقول أبوبكر]: فانصرفت من عنده، فرأيت تلك الليلة النبىّ ﷺ فى المنام، فقال لى: أقرئ أبا العباس عنى السّلام، وقل له: إنك صاحب العلم المستطيل "[1].

وقد فسر العلماء العبارة الأخيرة بأنه ــ ﷺ ــ" أراد أنّ الكلام به يكمل، والخطاب به يجمل، وأنّ جميع العلوم مفتقرة إليه " [2] .

وفي نهاية الفقرة يستشهد الدكتور/ الغذامي بالدراما المصرية ويرى أنها قد تكون " ورثت ظَرْفَ الأعرابي نفسه حينما قدمت صورة معلم النحو بصورة الكائن الغرائبي شكلا ولسانا وهيئة درامية، حتى صارت عبارة (يحكي نحوي) بمثابة التمثيل التعجيبي " .

وهذا الاستشهاد الذي يذكره صاحب الورقة وكأنه أمر عادي ــ مُحْزِنٌ مُبكٍ ؛ لأن الدكتور/ الغذامي رضي أم أبى هو محسوب على أهل اللغة بحكم أنه أستاذ للدراسات الأدبية والنقدية، وكان المتوقع أن يأسف لتلك الحال التي تصور الدراما المصرية معلم النحو واللغة العربية عموما عليها، كما أنه يوصف بأنه مثقف كبير في عالمنا العربي، وكان ينبغي عليه أن يدرك ذلك البعد الاستعماري الذي وقعت فيه الدراما المصرية سواء بقصد أو من غير قصد؛ فما رأيناه في كثير من الأعمال الدرامية أنها لا ترقب في فضيلة إلا ولا ذمة؛ فكيف لها إذن أن تصور

([1]) يراجع ذلك في: تاريخ بغداد؛ للخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)؛ تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف ــ دار الغرب الإسلامي ــ بيروت ــ الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م ؛ ٤٤٨/٦ ، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان؛ لابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)؛تحقيق: إحسان عباس ــ دار صادر – بيروت ــ ١٠٣/١ ، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة؛للسيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)؛تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ــ المكتبة العصرية – لبنان / صيدا ــ ٣٩٧/١ ، وغيرها من كتب التراجم .

([2]) المصادر السابقة ذاتها .

معلم النحو واللغة في صورة بهية مبجلة، وهو الذي يخاطب التلاميذ بالشواهد القرآنية والحديث النبوي الشريف والشعر العربي الأصيل،وقد يتعرض لشرح بعض الفضائل أثناء مروره بالشواهد المذكورة ؟!

إن معلم النحو واللغة في الدراما التي يستشهد بها الغذامي ما هو إلا مادة للسخرية كالشيخ الأزهري والرجل الصعيديّ؛ فالمهم أن يضحك الناس وتُحقَق الأرباح المادية والشهرة الاجتماعية وإن أدت بعض الأعمال الدرامية إلى تدمير أصول ثابتة في المجتمع .

إن الدراما المصرية التي سخرت من معلم اللغة العربية ، وتظهره شخصا جاء من وراء التاريخ ، يرتدي ثيابا مهترئة أو مقطعة أو مرقعة، والتلاميذ يسخرون منه ويرمونه بالأوراق وغيرها وهو يكتب على السبورة ـــ لهي سبيل من سبل رفع شأن النحو واللغة والقيم والأخلاق لو هُدي صانعوها إلى ذلك .

رابعا ــ أطلق الغذامي على مقولة (قُلْ ولا تقلْ) أنها بدعة؛ يقول:" ومنذ أن سن المرحوم مصطفى جواد بدعة (قل ولا تقل) وجعلها برنامجا إذاعيا يضع شروطا على اللسان اللغوي ــ ونحن في لعبة القط والفأر مع أهل التخصص الذين يريدون الحَجْر اللغوي ويقصرون الناس على صيغ سماعية أو قياسية عامة ويمنعون اللغة من أن تصنع صيغها وتجدد نفسها بتعابير مبتكرة تجاري شرطها العصري، وهذه علة اصطنعها أهل التخصص لكي يقيموا شرطهم الثقافي ويتخذوا له عللا مصطنعة منهم ومن عندهم". ثم يقول:" اللغة العربية معنى حيوي وثقافي وتفاعلي لا ينتظر النحاة كي يديروا حركة سيره ولا ينتظر الإشارات الحمراء لجملة (قل ولا تقل)، بل سيظل الناس يقولون ويقولون وينتجون اللغة، ومثال تويتر مثال حي وفعال حين صار الفرد المفرد مؤلفا وناشرا وكاتبا ومفكرا وصاحب رأي وصانع إنشاء ". ويقول: " لو كنا في موضع خيار لأوصيت بمقولة لغوية نظرية هي: (قل وقل) ولشطبت مقولة: (قل ولا تقل)" .

الحالة الغالبة على الورقة هي الخلط في الحديث بين اللغة والنحو ــ كما قدمت ــ فمن ذا الذي يستطيع أن يمنع اللغة من التوالد والتناسل من جهة الألفاظ والتعبيرات والأساليب ... ؟! وهل توقف العرب عند لغة من قال لحجَّام جيء به ليعالجه:" اشدد قصب المَلازم، وأرهف ظبات المشارط، وأسرع الوضع، وعجّل النزع، وليكن شرطك وخزا، ومصّك نهزا، ولا تُكرِهَنّ أبيّا، ولا تردّنّ أتيّا"[1]، ولغة من قال:" ما لكم تتكأكئون عليَّ كما تتكأكئون على ذي جنّة، افرنقعوا عني"[2]؟ بل هل توقفوا عند لغة المتنبي وأبي العلاء وشوقي؟ إن اللغة تجدد نفسها ــ ولا شك في هذا ــ ومن يقرأ شعر شعراء عصرنا يلمس صورا شعرية جديدة فيها ألفاظ جديدة وألفاظ تغيرت دلالاتها؛ يقول الشاعر عمن وصفه بفصيح قريته[3]:

إن كان عندك ما تقول فهاتهِ ∴ ففضاؤنا شَرِقٌ بماء صُماتهِ

وفصيحُ قريتنا المليحةِ غائبٌ ∴ في حمد مولاهُ وفي سبحاتهِ

ولفرط رقَّتهِ يكاد يطير منْ ∴ أثوابهِ ويفرُّ منْ خطواتهِ

هو محض رقْمٍ في البطاقة ما ترى ∴ لوجودهِ أثرا ولا لفواتهِ

ويقول الشاعر[4]:

الضادُ ليست أحرفا عربية ∴ ولكنها دينٌ ورمز هُويَّة

الله شرفها بحمل كلامه ∴ فإذا بها أم اللغات الحية

---

(1) البيان والتبيين؛ لعمرو بن بحر ، الجاحظ ــ دار ومكتبة الهلال، بيروت ــ ١٤٢٣ هـ ؛ ١/٣٠١ .

(2) السابق ذاته .

(3) ديوان " أول الغيث " للشاعر/ أحمد البهكلي ـــ طبعه مركز البحوث التربوية في كلية المعلمين بجازان عام١٤٢٥هـ ؛ ص ٧٤ ، ٧٥ .

(4) مطلع قصيدة عن اللغة العربية للشاعر عيسى جرابا .

ويقول آخر[1] على لسان اللغة:

كـــم دوّم الشـــعراء حـــول محاســـني ∴ فغـــدوا وراحـــوا في هـــواي تحيُّـــرا

فـــإذا ظننـــت العجـــز طيـــة بردتـــي ∴ فاســـأل كتـــاب الله وانظـــر مـــا تـــرى

أنـــا مـــن أتيـــتُ مـــن الحجـــاز أميـــرة ∴ وســـكنتُ مـــن بعـــد الحجـــاز الأزهـــرا

لا أظن أن أحدا يستطيع القول بأن اللغة لم تتجدد ولن تتجدد؛ فهـذا أمـر يرفضه المنطق والواقع، والأبيات القليلة التي ذكرتها خير شاهد على ذلـك؛ إذن الدكتور/ الغذامي يخلط في حديثه بين اللغة والنحو وأهله؛ فالنحاة لا يقفون عائقا أم التطور المحتوم للغة، ولا يرفضون هذا التطور، كما أنهم لا يدبرون أمر اللغة من تلقاء أنفسهم، وإنما يقولون للمتكلمين: صـوغوا ألفـاظكم المتطـورة تبعـا للقوانين التي ارتضاها الله ــ عز وجل ــ لكتابه وكلامه من الرفع والنصب والجر والجزم ... إلخ . فكيف أوصف بأنني عربي وأنا آبى أن ألتزم في حديثي أعلـى أسلوب عربي بلاغي فصيح، نزل من فوق سبع سماوات ، وشرفني الله ــ تعالى ــ باختيار لغتي وعاء له ؟!

ثم إن مسألة (قل ولا تقل) يُخاطَب بها من عرف أسسها ومنطلقاتها التي تتمثل في[2] :

١ــ من يتولى هذا الأمر إنما يتكلم عن اللغة العربيـة الفصـحى لا عـن اللهجات التي إذا فتحنا لها الباب على مصراعيه قضت على الفصحى التي تتطلب منا الحفاظ على نموذج موحد؛ فغير مقبول أن نقول ــ مـثلا ــ: سـلمتُ علـى الأستاذانِ؛بحجة أنها لهجة عربية، والمتحدث لا يعرف فصيح اللغة من ذلك أصلا.

---

(1) الدكتور/ علاء جانب في قصيدة عن اللغة العربية بمناسبة يومها العالمي .

(2) يراجع ذلك مفصلا في: الصواب اللغوي؛ للدكتور/ إبراهيم عبد المجيد ضوَّة ــ دار الهاني للطباعة والنشر؛ الطبعة الرابعة ٢٠٠٩م؛ ص٤٣ وما بعدها.

٢ ـــ أيضا الحديث هنا عن متكلم مثالي ومستمع مثالي؛ يتكلم لغة صحيحة، أو على الأقل (يريد) .

والحق أنه ليس بجميل من أحد ولا محمودٍ أن يبادر فيقول:" إن هذا الذي تصنعونه الآن [من التصحيح اللغوي] ليس إلا صناعة كاسدة، سارت دونها الركبان، وتخلفت هي عن حضارة الزمان! ما قيمة البحث في (زيد وعمرو) وهذا مرفوع، وذاك منصوب، أو مجرور، أو مجزوم ؟ ما قيمة هذا، وما فائدته، وأنت حيث أنت، والناس من حولك بالعلم يُسْرِعون، وإلى التقدم يُهرَعون؟!"[١]

أقول لقائل ذلك:" لا تقل لي ذلك تصريحا أو تلميحا أو تلويحا، بغمز أو همز أو لمز؛ فإن لديَّ جوابا واحدا لا أَحيد عنه؛ وهو أن العالم كلّهَ ــ مع عنايته بالعلم التطبيقي وتسخيره لمصلحته ــ لم يُغْفِل لغته، بل أولاها كل عناية، وجد في نشرها في كلِّ بلد يدخله أو يعاونه، وأنفق في سبيل ذلك ــ ولا يزال ينفق ــ كلَّ غالٍ، وأنت بعينيك تراه يقيم المدارس ويبني الجامعات في غير أوطانه؛ لنشر لغته وثقافته في ذلك البلد المحتاج بعد أن يلوِّح له بالمساعدة أيًّا كانت .

وكم قرأنا وسمعنا أن الأمم الراقية لا تسمح لأحد أن يُخطِيءَ في لفظة من ألفاظ لغتها؛نطقا أو كتابة ... أما نحن ــ هنا في بلادنا ــ فتشيع الأخطاء اللغوية ــ تحت السمع والبصر ــ في وسائل الإعلام، وفي المدارس، وفي الجامعات؛ تلامذة ومدرسين وأساتذة، وفي المؤلفات اللغوية وغير اللغوية، وكل من حصل على شهادة جامعية أو وصل إلى درجة علمية؛ يرى أنه فوق اللغة، ويعُدُّ نفسه أمة فيها، له أن يقول، وعلينا أن نفسِّر له ونؤوِّل، وكأنه من عصر الاحتجاج؛ ولا رقيب ولا منكر ولا حسيب! وسبحان الله ! "[٢] .

---

(١) في النقد اللغوي " دراسة تقويمية " للدكتور/عبد الفتاح سليم؛مكتبة الآداب؛الأولى ١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠١ م ؛ص ٣.

(٢) في النقد اللغوي ؛ ص ٣، ٤ .

إن حرصنا على لغتنا وقواعدها لهو من حرصنا على ديننا وأوطاننا وهُويّتنا، بل على إنسانيتنا، وهو الكفيل بأن يحترمنا العدو قبل الصديق ــ وإن كنا فقراء معدمين ــ .

خامسا ــ تحت عنوان (حالة النحو ــ خارج السياق) يقول الغذامي:" قبل إعدادي لهذه الورقة أجريت تجربة دراسية مع عدد مختار من أساتذة الجامعة وبعض الطلبة في تخصصات متعددة وعرضت عليهم الآية الكريمة" إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ"[1] وسألت عن حاجتهم للإعراب لإقامة معنى الآية الكريمة، والحاصل أن الكل ما كان يعي شروط حركات الإعراب وفروق الفاعل عن المفعول فيها، وفي الوقت ذاته كان يدرك معنى الآية دون لبس في أن الذي يخشى الله هم العلماء، وأكدوا كلهم عدم حاجتهم للضمة والفتحة ليدركوا المعنى ...لقد خصصت الآية الكريمة تحديدا ؛ لأنها هي حجتنا معشر أهل اللغة لنقول عن خطر الغفلة عن النحو وما تؤديه من صرف للمعاني، ولكن الفئة المستهدفة لا تشعر بهذا الخطر، مما يعني صعوبة أو استحالة إقناعهم بحاجتهم للنحو. ولربما كان أمر هذه الآية أقرب إلى الفهم العام، ولذا جربت مع العينة نفسها في آية أخرى قد تبدو أصعب، وهي قوله ــ تعالى ــ:" ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ"[2] وعرضت عليهم حالتي الرفع والنصب لكلمة (قول) وسألتهم عن المعنى الذي يخرجون به في الحالتين، ولقد وجدت منهم إجابات لا تختلف في عمقها عن مقولات المفسرين، دون أن يعوا حقائق الإعراب ودقائق تأويل الجمل الإعرابية، ولم يقل أحد منهم بحاجته للتعرف على خصائص علامات الإعراب، واكتفى بعضهم بأن تمنى أن لو كان على معرفة بالنحو لمعرفة أسرار القول، وهذا تعليق فهمت منه أنه نوع من الأدب مع الثقافة ونوع من الاحترام

---

(1) سورة فاطر: من الآية ٢٨ .
(2) سورة مريم: الآية ٣٤ .

للتخصصات مع الإحساس أن النحو هو لب العربية، أي أنها مسألة أدب وعرف أخلاقي ... ".

هذه الفقرة من ورقة الدكتور الغذامي أُراها أخطر الفقر على الإطلاق؛ لأنه يحاول إثبات سقوط النسق النحوي ليس من الكلام العام فقط وإنما من فهم القرآن الكريم أيضا، وهذه طامة كبرى؛ لأن القرآن كله من أوله إلى آخره مشكول، وفهمه واستنباط الأحكام منه مبني في الأساس على فهم النحو وقواعده؛ فكأن صاحب الورقة يستشعر أن الاعتراض عليه سيأتي من قبل أنه: كيف لنا أن نفهم القرآن أو نقرأه من دون النحو ؟! فسبق الباحث وذكر ما صنعه مع عينة من الناس وسؤالهم عن الآيتين الكريمتين السابقتين .

والآيتان الكريمتان المعنى فيهما واضح ومفهوم، ولكن السبب في ذلك ليس هو فهم العينة وغيرهم من عند أنفسهم؛حتى أن الباحث وصف إجاباتهم "بأنها لا تختلف في عمقها عن مقولات المفسرين" .

ولكن الحق أن العينة وغيرهم استمعوا كثيرا إلى الخطباء والدعاة والعلماء عبر المنابر والقنوات يتحدثون عن هاتين الآيتين وغيرهما من القرآن الكريم؛ فأصبحت عندهم الثقافة الدعوية التي تؤهلهم للفهم؛ إذن لولا حديث الخاصة عن هاتين الآيتين وأمثالهما لما فهم العامة المعاني المرادة منهما .

وكم من سؤال طرح علينا نحن اللغويين والنحويين عن قوله ـــ عز وجل ـــ:" إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ " ومن الفاعل ؟ ومن المفعول ؟

ولنعرض على الدكتور الغذامي وعينته وعينات أخر ــ لا أقول ــ آية أخرى من القرآن الكريم وإنما جزء آية، ثم لننظر: هل نستطيع فهمها ونحن بمعزل عن النحو وقواعده ؟

يقول ــ سبحانه ــ:" لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا "[1] الراء المشددة إذا فُكَّ إدغامها ظهر للفعل صورتان؛ هما[2]: (تُضارِرْ) ببناء الفعل للفاعل ، و(تُضارَرْ) ببنائه لما لم يُسَمَّ فاعله ؛ والفاعل ونائبه هو (الوالدة) والمعنى على بناء الفعل للفاعل هو النهي من الله ــ تعالى ــ عن أن تتخذ والدة ولدها سببا للإضرار بأبيه ، وعلى بنائه لما لم يسم فاعله هو النهى من الله ــ عزوجل ــ عن أن يتخذ والدٌ ولده سبا للإضرار بأمه. فما الرأي إذن؟!

وأَزيد القارئَ الكريمَ من الكتاب العزيز جزءَ آية؛ يقول ربنا ــ سبحانه ــ: "وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ..." [3] في كلمة (العمرة) النصب والرفع[4]وقد كان النحو وقواعده صاحب الكلمة العليا في اختلاف الفقهاء حول:هل العمرة فرض مثل الحج أو تطوع ؟ [5]

---

(1) سورة البقرة : من الآية ٢٣٣ .

(2) ينظر: معاني القرآن؛ للأخفش؛ تحقيق د/ هدى قراعة ـــ الخانجي؛ الطبعة الأولى ١٤١١ه ـــ ١٩٩٠م؛١/١٨٨.

(3) سورة البقرة : من الآية ١٩٦ .

(4) القراء جميعا يقرؤون بالنصب ، وقراءة الرفع شاذة؛ نسبها ابن خالويه – رحمه الله – لسيدنا على – ﷺ– وسيدنا عبد الله بن مسعود – ﷺ– والشَّعْبي؛ ينظر : مختصر في شواذ القراءات ص ١٢، وإعراب القراءات الشواذ ١/٢٣٦ .

(5) من الذين قالوا بفرضية العمرة : على بن أبي طالب ،وابن عباس ، وابن عمر ، ومسروق ، وعطاء، وطاووس ، ومجاهد ، وابن سيرين، والشعبي – وهو عكس ما ذكره أبو عبيدة – وابن جبير ، وأبو بردة ، وعبد الله بن شداد ، ومن علماء الأمصار : الشافعي ، وأحمد ، وإسحاق ، وأبو عبيد ، وابن حميم من المالكيين .

ومن الذين قالوا إنها سنة : ابن مسعود ، وجابر ، ومن التابعين : النخعي ، ومن علماء الأمصار : أبو حنيفة ومالك إلا أنه إذا شرع فيها عندهما وجب إتمامها ، وحكي بعض القزوينيين والبغداديين عن أبي حنيفة القولين ، والحجج منقولة في كتب الفقه ؛ ينظر : أحكام القرآن لابن العربي ١/١١٨ ، ١١٩ ،

فمن نظر إلى النصب جعلها فرضا؛ لأنها معطوفة على (الحج) وهو فرض، ومن نظر إلى الرفع جعلها تطوعا، وتكون جملة (والعمرة لله) مستأنفة .

وهكذا إذا تتبعنا آيات القرآن الكريم وجدنا أنفسنا نتوسل للنحو وقواعده حتى نفهم شيئا من أسرارها .

ويجب أن ننبه هنا إلى أن النحو ليس علامة الإعراب فقط؛ النحو: إعراب وبناء، نكرة ومعرفة، جملة اسمية ونواسخها وأخرى فعلية، مبني للمعلوم ومبني لما لم يسمَّ فاعله، متعلقات بالفعل من توابع وحال وتمييز وظرف ومجرور، تعجب وتفضيل، مدح وذم، حذف وذكر، تقديم وتأخير،عدد ومعدود وكنايات ...

الدكتور/ الغذامي يعرض لنا مشكلة قائمة نعيشها في مجتمعاتنا؛ هذا حق، ولكن الأحق من ذلك هو أن مشاكلنا بعمومها نعيشها في مجتمعاتنا ليلا ونهارا ، ولسنا في حاجة لمن يذكرنا بها ويكتب عنها بفلسفة؛ لأن معايشتنا لها فوق كل ما يكتب ، ولكن الفكر الحقيقي هو الذي يطرح الحلول للمشاكل القائمة .

يبدو أنها سنة دأب عليها معظم مفكرينا من أنهم يعرضون المشكلة في قصيدة أو رواية أو مقالة أو بحث...

ثم تتوق أنفسنا للحلول منهم فنعود أصفار الأيدي، نعود بخفي حُنين ؛ إنها أفكار كالحسناء العقيم ؛ لذا كنا نطمع في مثقفنا الكبير الدكتور/ عبد الله الغذامي أن يجوز هذه المرحلة ويتحفنا نحن النحويين بمجموعة من الحلول الحقيقية غير التقليدية؛ لنسير عليها في حل ما يراه من طباق ثقافي بين النحو واللغة .

والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٦٨/٢ ، ٣٦٩ ، والبحر المحيط ٧٢/٢ ، وسبل السلام للصنعاني ٣١٠/٢ ، ونيل الأوطار للشوكاني ٧٣٨/٢ – ٧٤٠ .

المبحث الثالث
من أسباب الضعف النحوي وسبل العلاج

إن قضايانا المصيرية في أمتنا لا تحتاج إلى مزيد بيان أو بحث ؛ فالصغير والكبير يعرفها ويعيشها؛ ومنها القضية النحوية التي نبحث الآن عن أسبابها وسبل علاجها، والباحث يرى ذلك في الآتي[1]:

أولا ــ فَقْدُ الشعور بالقضية من الأساس، وعدم الإحساس بخطورتها ــ من الخاصة والعامة ــ ولو أن عكس ذلك تحقق لارتفع شأن النحو واللغة عموما بين أبناء الأمة .

لقد " شهدت اللغة العربية بنحوها وصرفها وجميع علومها أوقات ازدهار عظيمة حين كان أصحابها أقوياء وأعزة ؛ لا يتماهَون مع عدوهم ولا يستسلمون له ... كما شهدت فترات تراجع كبيرة ؛ وخاصة في العصرين المملوكي والعثماني حين أصاب أهلها الضعفُ والوهن ، ولولا القرآن الكريم لكانت قد انتهت ، وحين بدأت النهضة الحديثة عادت إلى فتوتها من جديد؛ وإن كانت هذه العودة تتذبذب صعودا وهبوطا نتيجة للواقع القومي في مجالاته المختلفة "[2] .

ثانيا ــ نظر بعض المتخصصين إلى النحو على أنه سبيل للقمة العيش ليس إلا؛ فالقضية عنده وظيفة وليست رسالة ؛ فلا يهمه ارتفاع شأن العلم الذي يُدَرِّسه أو انخفاضه؛ المهم هو كم حصل من مال من تدريسه، وماذا حقق على الأرض من مكاسب مادية.

---

(1) رأيتُ أن أدمج بين السبب والعلاج حتى تكتمل الصورة لدى القارئ وتتم الفائدة.

(2) المتنبي لا يخاف الإعراب ــ مجلة مرافئ؛ العدد السابع ؛ ص ١٦٢ .

بالطبع أنا لا أنكر على المتخصصين في النحو ــ وأنا واحد منهم ــ أن يسعَوا إلى توفير الحياة الكريمة لهم ولأبنائهم ، ولكن ليتنا نجعل ذلك في مراتب متأخرة من اهتماماتنا.

والأمل هنا في المخلصين الجادين من أبناء هذه الأمة الذين منهم " مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا " [1]. أولئك الذين يرجون أن يدخلوا تحت عموم قوله ــ تعالى ــ" إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ "[2] فالقرآن محفوظ بحفظه ــ عز وجل ــ وكذلك ــ إن شاء الله ــ تعالى ــ كل ما من شأنه الحفاظ على القرآن هو داخل في عموم الآية ؛ ومن يدرس النحو بنية تعليمه الناس من أجل فهم القرآن والحفاظ عليه دستورا يتلى ويفهم بينهم ؛ لهو أحد الجنود المهمين في كتيبة الحفاظ على القرآن الكريم .

ثالثا ــ " الإحساس بالدونية هو الذي يجعل الناس يحتقرون لغتهم [وقواعدها] ويبحثون عن غيرها من لغات أهل التقدم والعلو في الأرض، ويجعل المسؤولين والمثقفين ورجال الصحافة والإعلام يحاولون دائما التحدث بلغات أجنبية أو استخدام بعض الكلمات من هذه اللغات لتزيين كلامهم؛ ظنا منهم أن ذلك يضعهم في خانة المتقدمين المتحضرين..."[3] يحدث ذلك في الوقت الذي "يهتم فيه الآخرون بلغاتهم؛ يبعثونها بعد موت طويل جدا (العبرية) أو يعتزون بها بعد هزائم قاسية (اليابانية) أو يستخدمونها لغايات سياسية واقتصادية (الفرنسية)"[4].

---

(1) سورة الأحزاب: من الآية ٢٣.
(2) سورة الحجر : الآية ٩ .
(3) المتنبي لا يخاف الإعراب ــ مجلة مرافئ ؛ العدد السابع ؛ ص ١٥٦.
(4) السابق ؛ ص ١٦٥.

ولذلك وجب علينا السعي نحو نشر الانتماء الحقيقي للغتنا، وتضافر المؤسسات المختلفة لتحقيق ذلك، ووضع قوانين صارمة ــ كما في فرنسا وألمانيا ــ لمعاقبة من يستخدم لغة غير لغته .

رابعا ــ يجب على الباحثين عن تجديد النحو والذين يرون أنه أصبح خارج النسق الثقافي العام أن يعلموا ــ أنه على مدى التاريخ وفي كل اللغات هناك مستويان: مستوى اللغة الفصيحة السليمة ، ومستوى النطق اللهجي العامي ؛ والأول هو المستوى الرسمي للأدباء والكتاب والمفكرين والعلماء والفقهاء واللغويين والرواة وأمثالهم ، ومن الملحوظ هنا أن دعوة مثل دعوة الشوباشي، وفكرة مثل فكرة الغذامي يلتزم فيهما الكاتبان بقواعد النحو ؛ فلا تكاد تجد خطأ نحويا عند أحدهما؛ فكأن هؤلاء يرجون للناس الخروج على قواعد النحو، ويحفظون أنفسهم من هذا الخروج ؛ لعلمهم أنهم لو كتبوا من دون التزامهم بالنحو لماتت كتاباتهم قبل أن تولد .

وأما المستوى الثاني فهو مستوى العامة الذين لم يتعلموا اللغة ولم يدرسوها .

خامسا ــ نظام التعليم السائد في بلادنا يقوم على التمايز؛ فالفقراء منا يتعلمون في مدارس حكومية تفتقد كثيرا من مؤهلات العملية التعليمية ، ومتوسطو الحال يجهدون أنفسهم ليعلموا أبناءهم في مدارس لغات ، والأغنياء يعلمون أبناءهم في مدارس أجنبية ، وانتشار مثل هذه المدارس بل والجامعات في بلادنا لم يحقق الغرض المنشود منه ؛ فلم يتخرج أبناؤنا علماء عالميين يكونون سببا في تقدم أمتهم بل أصبحوا سفراء للدول صاحبة المدارس والجامعات المذكورة ؛ ينشرون لغاتهم وثقافاتهم، وكل هذا على حساب اللغة القومية وثقافتنا الإسلامية؛ فهؤلاء يتقنون اللغات التي تعلموا بها ويتقنون قواعدها، ولا يعرفون

شيئا عن نحوهم العربي وقواعده؛ لدرجة جعلتهم ينظرون إلى النحو كأنه لوغاريتمات يصعب فكها أو استيعابها؛ والمسؤولية في أعناقنا جميعا.

سادسا ــ لا يصح بحال من الأحوال أن نرشد الناس إلى البر وننسى أنفسنا؛ فالواجب على أساتذة النحو بشكل خاص وأساتذة اللغة بشكل عام أن يلتزموا النحو في حديثهم ــ على الأقل في المحاضرات والندوات العلمية والمؤتمرات ــ .

سابعا ــ إقامة دورات في اللغة العربية للمدرسين والأساتذة غير المتخصصين ؛ حتى يكونوا عونا للطلاب على فهم العربية وممارستها عمليا في جميع الدروس والمحاضرات متخصصة وغير متخصصة ؛ فغير معقول أن يقول أستاذ النحو للطالب أو التلميذ إن المضاف إليه مجرور، ثم في المحاضرة أو الحصة التي بعده يدخل أستاذ الرياضيات ــ مثلا ــ فيقول له:"كل زاويتان متقابلتين متساويتين" بل ويكتبها على السبورة؛ فترسخ في الأذهان صوتا وصورة[1] .

ثامنا ــ نطمع في مفكرينا ومثقفينا أن يدرسوا النحو دراسة شاملة، ثم يصدروا أحكامهم عليه، ويتحفونا بحلول حقيقية غير تقليدية لما يرون من مشاكلنا ومتاعبنا .

([1]) فكرة هذه الفقرة مقتبسة مع تصرف كثير من كتاب (الضعف النحوي:أسبابه وعلاجه) د/مبروك عطية؛ص ٩.

الخاتمة (أسأل الله حسنها)

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلاة وسلاما دائمين متلازمين على خير من نطق بالضاد؛ سيدنا محمد ــ ﷺ ــ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها... وبعد

فهذا مما فتح الله ــ تعالى ــ لي به في هذا البحث الذي أدعوه ــ سبحانه ــ أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن يجعله في ميزان حسناتي " يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ. إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ . وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ "[سورة الشعراء: ٨٨ ــ ٩٠] ومن النتائج والتوصيات التي أسفر عنها ما يأتي:

١ ــ انقسمت دعوات تجديد النحو قسمين؛ أحدهما: جاد وأصحابه علماء راسخون في اللغة، والآخر: فيه شطط وينقصه المنهج العلمي القويم؛ ولم يكتب لأية دعوة من القسمين النجاح والتطبيق في الحياة العملية .

٢ ــ ورقة الغذامي فكرية فلسفية، لم تقدم جديدا في مجال التطوير النحوي وتجديده، وإنما اقتصرت على وصف الحالة القائمة بين اللغة والنحو ــ من وجهة نظر المؤلف ــ فصاحبها ــ في جانب الطباق الثقافي الذي بدا له ــ ككثير من مثقفينا ومفكرينا العرب الذين يطرحون الإشكالية بلا حلول .

٣ ــ خلط الغذامي كثيرا في ورقته بين الحديث عن النحو واللغة بوجه عام؛ ما جعل منهجه مضطربا في طرح فكرته .

٤ ــ أخطر ما جاء في هذه الورقة هو محاولة إثبات سقوط النسق النحوي حتى عن فهم القرآن الكريم؛ فقد ضرب المؤلف مثلا بآيتين كريمتين لإثبات ذلك ــ كما سبق في المبحث الثاني من البحث ــ .

٥ ــ الضعف النحوي له أسباب متعددة، وعلاجه وعلاج غيره من مشاكلنا وقضايانا يكمن في إخلاص المسؤولين من أبناء هذه الأمة وإخلاص

علمائها لتلك المشاكل والقضايا، واستنفار الجميع من قبل مؤسسات الـــدول المختلفة نحو خطر فقد الهوية إذا فقدنا لغتنا وقواعدها التي نزل بها كلام رب العالمين .

٦ــ يوصي الباحث بوضع لجان متخصصة لتصحيح الأخطاء النحوية واللغوية في المؤسسات المختلفة .

وآخر دعواي " أن الحمد لله رب العالمين " .

ثَبَت أهم المصادر والمراجع

ـ القرآن الكريم .

١ ـ أثر الموروث النحوي في مقترحات محاولات التيسير النحوي المعاصر؛ للدكتور حسن منديل العكيلي ـ عالم الكتب الحديث ـ إربد ، الأردن ـ الطبعة الأولى ٢٠١٢ م .

٢ ـ أحكام القرآن؛ لأبي بكر بن العربي . تحقيق/ علي محمد البجاوي ـ دار الفكر العربي .

٣ ـ إحياء النحو؛ إبراهيم مصطفى ـ دار الآفاق العربية١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٣م.

٤ ـ إعراب القراءات الشواذ؛ لأبي البقاء العكبري ـ تحقيق/ محمد السيد عزوز ـ عالم الكتب ـ بيروت .

٥ ـ الإمتاع والمؤانسة ؛ لأبي حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (المتوفى: نحو ٤٠٠هـ) ـ المكتبة العصرية، بيروت ـ الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ .

٦ ـ البحر المحيط؛ لأبي حيان الأندلسي ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٣٢٨ م .

٧ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة؛ للسيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)؛تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ـ المكتبة العصرية – لبنان/ صيدا .

٨ ـ البيان والتبيين؛ لعمرو بن بحر ، الجاحظ ـ دار ومكتبة الهلال، بيروت ـ ١٤٢٣ هـ .

٩ ـ تاريخ بغداد؛ للخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)؛ تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م .

١٠ ــ تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر ؛ للدكتورة / نفوسة زكريا سعيد ــ دار الدعوة الإسلامية ١٤٢٧هـ ــ ٢٠٠٦م.
١٠ ــ تبسيط قواعد اللغة العربية؛ حسن الشريف ــ مجلة الهلال ــ عدد أغسطس ١٩٣٨ م .
١١ ــ تجديد النحو؛ للدكتور/ شوقي ضيف ــ دار المعارف ؛ الطبعة الرابعة .
١٢ ــ التطبيق النحوي؛ للدكتور/عبده الراجحي ــ دار المعرفة الجامعية١٩٩٨م.
١٣ ــ تطوير اللغة العربية؛ نصرة سعيد ــ مجلة الآداب البيروتية ــ السنة الرابعة عدد ديسمبر ١٩٥٦م .
١٤ ــ الخصائص؛ لأبي الفتح عثمان بن جني ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ الطبعة الرابعة .
١٥ ــ دلائل الإعجاز ؛ قرأه وعلق عليه/ محمود محمد شاكر ــ مكتبة الأسرة ــ القاهرة ٢٠٠٠ م .
١٦ ــ ديوان " أول الغيث " للشاعر/ أحمد البهكلي ــ طبعه مركز البحوث التربوية في كلية المعلمين بجازان عام١٤٢٥هـ .
١٧ ــ سؤال اللغة: كيف تعمل اللغة؟ سؤال في ثقافة اللغة " للدكتور/ عبد الله الغذامي ــ مؤتمر (اللغة العربية وآدابها) جامعة السلطان قابوس ــ مسقط ــ من ٢ إلى ٣ / ١٢ / ٢٠١٢ م .
١٨ ــ سبل السلام شرح بلوغ المرام؛ للصنعاني . صححه وعلق عليه/ محمد عصام الدين أمين ــ مكتبة الإيمان ــ القاهرة .
١٩ ــ الصواب اللغوي؛ للدكتور/ إبراهيم عبد المجيد ضوة ــ دار الهاني للطباعة والنشر؛ الرابعة ٢٠٠٩م .
٢٠ ــ الضعف النحوي؛ أسبابه وعلاجه ؛ للدكتور/ مبروك عطية أبو زيد ــ الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ ــ ١٩٩٧ .

٢١ــ في النقد اللغوي"دراسة تقويمية"للدكتور/عبدالفتاح سليم ــ مكتبة الآداب؛ الأولى ١٤٣٣هـ ــ ٢٠٠١م.
٢٢ ــ لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه؛ شريف الشوباشي ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٤ م .
٢٣ ــ اللغة الفصحى واللغة العامية ؛ سلامة موسى ــ مجلة الهلال ١٩٢٦م.
٢٤ ــ المتنبي لا يخاف الإعراب؛ للدكتور/ حلمي القاعود ــ مجلة مرافئ ــ السنة السابعة ــ العدد السابع؛ محرم ١٤٢٦ هـ ــ مارس ٢٠٠٥ م .
٢٥ ــ مختصر في شواذ القراءات؛ لابن خالويه ــ المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٤ م .
٢٦ ــ النحو الجديد ؛ للشيخ/ عبد المتعال الصعيدي ــ دار الفكر العربي .
٢٧ ــ نحو عربية ميسرة؛ أنيس فريحة ــ بيروت ١٩٥٥ .
٢٨ ــ نيل الأوطار؛ للشوكاني. اعتنى به/ أبو عبدالرحمن عادل بن سعد ــ الشركة الدولية للطباعة ــ القاهرة؛ الطبعة الأولى١٤٢٤ هـ ــ ٢٠٠٣م.
٢٩ ــ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان؛ لابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ) ؛تحقيق: إحسان عباس ــ دار صادر – بيروت .

فهرس المحتوى

الموضوع	الصفحة
مقدمة	١٢١١
المبحث الأول: من دعوات تجديد النحو في العصر الحديث	١٢١٤
المبحث الثاني: ورقة الغذامي في الميزان	١٢٢٦
المبحث الثالث: من أسباب الضعف النحوي وسبل العلاج	١٢٤١
الخاتمة	١٢٤٥
ثَبَت أهم المصادر والمراجع	١٢٤٧
فهرس المحتوى	١٢٥٠